(١٩) الإنسان الناجى فى سورة العصر

الخطبة الأولى:

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

سألنى أحد الشباب عقب خطبة الجمعة الماضية قائلا: أنت مشغول بهموم الأمّة ومآسيها فى المشرق والمغرب والشمال والجنوب، وتحثّنا دائماً على العودة الى الإسلام، ولكنّا لا ندرى كيف نعود إلى الإسلام، وماهو نصيب الفرد فى هذه العودة؟ إنّنا إذا نظرنا إلى الأمّة فى تعقّد مشكلاتها، وتنوّع همومها، وكثرة مآسيها وأحزانها، فربّما غرقنا فى هذا البحر الخضمّ، وتهنا فى هذه الصحراء؛ وهذه المفازة المهلكة الواسعة، ونريد أن نعرف: ماذا نفعل نحن أفراداً أمام هذه المآسى والكوارث والمصائب التى تتوزّع أمتّنا من هنا وهناك؟

وأريد أن أقول: إن أساس العودة إلى الإسلام التى ننادى بها دائماً يبدأ من الفرد.

ماذا نعنى بالعودة إلى الإسلام؟

ونعنى بالعودة إلى الإسلام: العودة إلى الإسلام الصحيح والإسلام المتكامل. لا نعنى أنّنا قد ارتددنا عن الإسلام والعياذ بالله ونريد أن نرجع إليه، فإن هذه الأمّة لازالت مؤمنة بربها وقرآنها ومحمّدها، لازالت مستمسكة بهذه العروة الوثقى، ولكنّها أساءت الفهم و أساءت التطبيق للإسلام، وخصوصاً فيما يتعلّق بالذين يلون أمرها هنا وهناك فى بلاد شتى يقربون أو يبعدون عن الإسلام، حتى إنّ منهم من يحارب الإسلام حرباً ضروساً لاهواده فيها فى قلب بلاد العروبة والإسلام.

لا أعنى بالعودة إلى الإسلام: أنّ الأمّة قد ارتدّت عن دينها، فمعاذ الله أن أؤمن بذلك، وإنّما أعنى أن الأمّة قد انحرفت وتحتاج إلى أن تستقيم على أمر الله، وأنّ الأمّة قد تركت شريعة ربها وحكّمت أنظمة وقوانين استوردتها من هنا

وهناك، وأنّ الأمّة ساءت مفاهيمها وتصوّراتها فجلبت مفاهيم وتصوّرات من شرق ومن غرب، وأن الأمّة قد اختلطت تقاليدها وأعرافها فجاءتها أعراف وتقاليد من هنا وهناك، فلابد أن تميزّ الأمّة بين الطيب والخبيث.. بين المستقيم والمعوج.. بين الأصيل والمستورد.. بين ماهو من دين الله وما ليس من دين الله.

نريد للأمّة أن ترجع إلى الدين الصحيح، ترجع إليه فهماً، وترجع إليه تطبيقاً، ترجع إليه إيماناً، وترجع إليه أخلاقاً، وترجع إليه سلوكاً.

الفرد أساس الأمة الصالحة:

وأوّل ما يتجلى هذا الرجوع هو فى الفرد، فالفرد عندنا هو أساس الجماعة الصالحة التى هى أساس الأمّة الصالحة. لن يصلح حال هذه الأمّة إلاّ بإصلاح أفرادها.

إذا أردت أن تبنى صرحاً عظيماً، فلابدّ أن يبدأ هذا البناء على أساس متين، وأساس هذا البناء كلّه: اللبنة السليمة.. اللبنة الصالحة فى بنيان المجتمع هو الفرد الصالح، هو الإنسان الصالح، هو المسلم الصالح، مسلم سورة العصر، المسلم النّاجى فى سورة العصر الذى قال الله تعالى فيه: ﴿ **وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ [العصر: ١-٣].

الإيمان أولا:

أوّل شروط النجاة قبل كلّ شىء هو الإيمان.. سلامة العقيدة، ظلّ النبىّ ﷺ ثلاثة عشر عاماً فى مكّة لاهمّ له ولا شغل له إلاّ أن يغرس العقيدة فى العقول والنّفوس.. أن يبنى التوحيد الصحيح.. أن يطرد عبادة الطاغوت والإيمان بالطاغوت من القلوب.

لابدّ من الكفر بالطواغيت كلّ الطواغيت والإيمان بالله وحده ﴿ **فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. الطاغوت: كلّ ما يعبد ويعظّم ويطاع طاعة مطلقة من دون الله، قد يكون وثناً.. قد يكون شجراً.. قد يكون حيواناً.. قد يكون جنّاً.. قد يكون

بشراً.. قد يكون نجماً فى السماء، أو نبتاً فى الأرض، أيّاً كان ما دام يعبد ويعظّم ويتبع اتباعاً أعمى، ويطاع طاعة مطلقة من دون الله، فهو طاغوت.

وقد جاء الأنبياء جميعاً ليحررّوا الناس من عبادة الطواغيت ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النّحل: ٣٦]، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ [الزمر: ١٧].

فالإيمان كان بداية النجّاة من خسر الدنيا والآخرة، الإيمان القائم على التوحيد الذى بعث الله به كلّ الرسل وأنزل به كلّ الكتب. إنّما بُعث الأنبياء وأُنزلت كتب الله عامّة من أجل هذه القضيّة الأولى.. القضيّة المصيريّة.. قضيّة الوجود كلّه: أن يعبد الله وحده لاشريك له. ولهذا كان النّداء الأوّل فى كلّ رسالة: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، قبل أن ينادى النّبىّ بترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن، قبل أن ينادى النّبىّ بإصلاح أحوال النّاس.. بإصلاح حال الحياة والمجتمع.. بعدم بخس الأشياء أو تطفيف المكاييل أو الموازين أو غير ذلك، يناديهم بعبادة الله وحده «اعبدوا الله مالكم من إله غيره».

أوّل ما يطالب به الفرد أن يقوّى إيمانه بالله، أن يصبح الإيمان قاعدة حياته كلها، يتعلّم.. ينظر فى آيات الله فى الأنفس وفى الآفاق حتى يتبيّن له أنّه الحق ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢١]. يقرأ كتاب الله الصامت فى هذا الكون، كما يقرأ كتاب الله النّاطق. مصحفان لدى كلّ إنسان: مصحف صامت هو هذا الكون، ومصحف ناطق هو القرآن الكريم.

لابدّ للإنسان أن يقوّى إيمانه عن طريق التأمّل والنظر فى الكون والنظر فى النفس والنظر فى التاريخ، عن طريق التفكر فى خلق السموات والأرض، عن طريق المعرفة والدراسة للقرآن وللسنّة يزداد المؤمن إيماناً، يقوى إيمانه بربّه، ويقوى إيمانه بلقائه وحسابه وجزائه، فإنّ هذه الحياة الدنيا أيام معدودة وأنفاس

محدودة، ثمّ يُطوى كتابها وينتقل الإنسان إلى حياة أخرى يُخلّد فيها في عمله، ويُجزى بما كسبت يداه ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ [الزلزلة : ٧ – ٨] .

لابدّ من الإيمان .

لكن القرآن حينما أشار إلى النجاة من الخسر واستثنى منها الناجين من الخسران، عبّر عن الإنسان الناجى بصيغة الجمع فقال : « إلاّ الذين آمنوا »[١] أى لا نجاه للفرد وحده، لابدّ أن يضع يده فى يد إخوته المؤمنين . لايوجد فى الإسلام إنسان ينجو وحده، فـ « يد الله على الجماعة ومن شذّ شذّ إلى النار »[٢] وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، لهذا عبرّ القرآن عن النجّاة بصيغة الجماعة فقال : « إلا الذين آمنوا » .

المسلم لا يعيش وحده، ولا يعمل وحده، وإنّما يعمل مع الجماعة المسلمة، يوادّها وتوادّه، يرتبط بها وترتبط به، ينصح لها وتنصح له، يواليها وتواليه، ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ [التوبة : ٧١] .

المسلم يقف فى الصلاة بين يدى الله فيقرأ الفاتحة، ويتلو فى هذه الفاتحة قول الله تعالى : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ [الفاتحة : ٥ – ٦] بصيغة الجمع، ولو أنّه يصلّى فرداً، ولو كان فى قعر بيته خالياً لايراه أحد، فإنه ينادى ربه بهذه الصيغة : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ وإذا دعا دعا للجماعة ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ . ذلك لأن الإسلام يريد أن يغرس فى نفس كلّ مسلم روح الجماعة، فإذا ناجى ربه فإنما يناجيه بلسان الجماعة، وإذا سأل ربه فإنّما يسأله للجماعة لا لنفسه، يحشر نفسه فى زمرة الجماعة، فهم القوم لا

---

(١) وذلك فى قوله تعالى فى سورة العصر : « والعصر . أن الإنسان لفى خسر . إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . » (١–٣) .

(٢) انظر : تخريجه فى ص : (٢٦٢) .

يشقى بهم جليسهم، يتحدث بلسانهم، ويتمثلهم فى ضميره، ويعبّر عنهم بكلامه ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾.

عمل الصالحات:

أوّل خطوات النّجاة للفرد الذى نريده أساساً للإصلاح هو: الإيمان.

ولكن الإيمان الحقيقى هو الذى يثمر عملا، لامعنى للإيمان بلا عمل، ولا معنى للعلم بلا عمل. أسلافنا قالوا: علم بلا عمل كشجر بلا ثمر، أو سحاب بلا مطر. ثمرة العلم: العمل، وثمرة الإيمان: العمل.

حقائق الإيمان كما عرضها القرآن:

ولهذا نجد القرآن حينما يعرض علينا حقائق الإيمان يعرضها فى أخلاق وأعمال:

١ـ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الأنفال: ٢-٣]. إيمانهم يتجلّى فى أعمال، بعضها أعمال قلبيّة ولها الصدارة: وجل القلوب عند ذكر الله - زيادة الإيمان عند تلاوة آيات الله - التوكّل على الله عزّ وجلّ، ثمّ أعمال ظاهرة أبرزها: إقامة الصلاة، والانفاق مما رزق الله، ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٤].

٢ـ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-٩]. وهذه حقائق الإيمان فى حياة المسلمين، هم يتصفون بأعمال إيجابيّة ويتصفون بأشياء أخرى يتركونها، فالإيمان فعل وترك:

أ - إنهم يخشعون فى الصلاة ويحافظون عليها، لم يقل: إنهم يؤدون

الصلاة، فهذا أمر مفروغ منه، ولكن وصفوا بالخشوع فى الصلاة، ليست صلاتهم جسماً بلا روح، ولكن صلاتهم هى الصلاة التى تخشع فيها القلوب وتخشع فيها الجوارح «الذين هم فى صلاتهم خاشعون.... والذين هم على صلواتهم يحافظون بدأ بالصلاة وختم بها.

ب – ويؤدون الزكاة «والذين هم للزكاة فاعلون».

جـ – ويرعون العهود والأمانات للخلق أو للخالق «والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون».

ولكنّهم فى الجانب الآخر.. فى جانب المنهيّات:

أ – «والذين هم عن اللغو معرضون»: لا يضيعون أوقاتهم فى اللغو، فالعمر أثمن من أن يضيّعوه فى الكلام الفارغ وفى العمل الباطل، فالوقت هو الحياة، ومن ضيّع وقته فقد ضيّع عمره وانتحر وقتل نفسه.

ب– «والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين» أى أنهم يحفظون فروجهم فلا يقعون فى حرام، لا يرتكبون الفواحش ما ظهر منها أو ما بطن.

الإيمان إذن – يتجلّى فى عمل، هكذا يعرضه القرآن. أمّا الإيمان الذى يكون مجرّد معرفة ذهنيّة فى العقل، لا تشرق بها جوانب النفس، ولا تتجلّى فى أعمال، فهذا ليس هو الإيمان.

الإيمان هو الذى ينير العقل، ويضيىء القلب، ويحرّك الإرادة، ويحيى الضمير، ويبعث على الخير، ويزع عن الشر، هذا هو الإيمان الحقيقى.

لابد للإيمان من عمل:

لابدّ أن يتجلّى الإيمان فى عمل، ولابدّ أن يتجلّى العلم فى عمل. كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يعرفون الإيمان إلاّ مقروناً بالعمل، كما علمّهم رسول الله ﷺ.

الإيمان هو الذى يثمر العمل، وأىّ عمل؟ عمل الصالحات.

ولهذا قال: ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ [التين: ٦ والعصر: ٣]. الصالحات تعبير قرآنيّ جامع يشمل كلّ ما يصلح به الفرد وما يصلح به المجتمع، من الناحية المعنويّة أو من الناحية الحسّيّة، من ناحية الروح أو من ناحية المادّة.

كان هؤلاء الصحابة أسرع النّاس إلى العمل وإلى الجهاد و إلى البذل، لو نزلت آية كريمة كانوا أسرع الناس إلى تنفيذها. نزل قوله تعالى: ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ [آل عمران: ٩٢]، فجاء الصحابة يبذلون أفضل ما عندهم، حتى إن أبا طلحة كان عنده حائط (بستان) من أفضل البساتين، يقدّر بكذا وكذا، فجاء يقول للنبى ﷺ: يا رسول الله أشهدك أنّى جعلته فى سبيل الله.

لم يكن القرآن ينزل لمجرّد أن يتلذّذوا بتلاوته أو بسماعه، ولكن يجعلوه واقعاً حيّاً فى حياتهم ومسيرتهم.

فى معركة اليمامة والمسلمون يقاتلون المرتدّين – ويقاتلون المتنبئين – أتباع مسيلمة الكذّاب وسجاح بنت الحارث وغيرها، كان أكثر النّاس إقداماً فى هذه المعركة هم قرّاء القرآن، وكان ينادى بعضهم بعضا: يا أصحاب سورة البقرة، قاتلوا فى سبيل الله. وكان حذيفة بن اليمان يقول: يا أهل القرآن زيّنوا القرآن بالفعال. ولذلك قُتل من القرّاء عدد كبير فى هذه المعركة.

كان بشر بن الحارث – المعروف ببشر الحافى – يقول لطلبة علم الحديث: يا أصحاب الحديث أدّوا زكاة حديثكم، اعملوا من كلّ مائتى حديث بخمسة أحاديث. على الأقلّ.. الحدّ الأدنى: من كلّ مائتى حديث إعملوا بخمسة أحاديث (ربع العشر)، إذ لا معنى لطلب الحديث وأنت لا تعمل به، ولا معنى لأن تقرأ الكتب وتحضر الدروس وتستمع إلى المحاضرات وأنت لا تطبّقها على نفسك، المهم: العمل.. العمل.

لابدّ أن يراك الله تعالى حيث أمرك، ويفقدك حيث نهاك. لابدّ أن تعمل بما

OBEIKAN.COM

أمرك الله به فى نفسك وأهلك ومن حولك، مع من تحب ومع من تكره. لابدّ أن تكون وقّافاً عند حدود الله، مراعياً لحقوق الناس، تُحلّ الحلال وتحرّم الحرام، لا تدخل إلى جيبك درهماً من حرام، ولا تدخل إلى بطنك لقمة من حرام، حتى لا ينبت بها شيىء من جسدك، فـ« كلّ جسد نبت من سحت فالنّار أولى به »(١).

الإيمان وعمل الصالحات هو ما نريده من الإنسان النّاجى، الإنسان الذى هو أساس المجتمع الصالح.

التواصى بالحق:

والشرط الثالث الذى دلّت عليه سورة العصر: التواصى بالحق. و التواصى صيغة (تفاعل) كما يقول علماء العربيّة، التواصى تفاعل من الجانبين، أى توصى غيرك بالحق وتقبل من غيرك الوصيّة بالحق، فليس هناك أحد أصغر من أن يوصى ولا أحد أكبر من أن يُوصى، الحقّ فوق الجميع.

كان رسول الله ﷺ يستمع إلى النّصيحة من أصحابه ينصحونه بها، ويستمع إلى الرأى فيترك رأيه أحياناً وينزل على رأى أصحابه فى وقائع شتىّ روتها كتب السنة والسيرة. وكان أبو بكر يقول على المنبر فى أوّل خطبة له: أيّها النّاس، إن رأيتمونى على حقّ فأعينونى، وإن رأيتمونى على باطل فسدّدونى، أطيعونى ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم. وكان ابن الخطّاب بغده يقول: مرحباً بالنّاصح أبد الدهر، مرحباً بالناصح غدوّاً وعشيّا، رحم الله امرءاً أهدى إلىّ عيوب نفسى. ولمّا نصحه بعض النّاس وقال له: اتق الله يا أمير المؤمنين، غضب بعض من حوله وقال: أتقول هذا لأمير المؤمنين، فقال عمر: دعوه، لاخير فيكم إذا لم تقولوها ولاخير فينا إذا لم نسمعها.

---

(١) رواه البيهقى فى الشعب وأبو نعيم فى الحلية عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه. قال المناوى: وفيه عبد الواحد بن واصل أورده الذهبى فى الضعفاء وقال: ضعّفه الأزدى. وعبدالواحد ابن زيد قال البخارى والنّسائى: متروك. قال أبو نعيم: وفى الباب عن عائشة وجابر (فيض القدير للمناوى: ٥ / ١٨ برقم ٦٢٩٦).

التواصى بالحق يعنى كلّ واحد يوصّى غيره بالحق، وأقرب الناس إلى أن توصّيهم بالحق من كانوا فى ذمّتك.. من كانوا فى حضانتك.. من كانوا تحت رعايتك.. زوجك.. أبناؤك.. بناتك.. إخوتك الذين يعيشون معك.. الذين يكونون تحت رئاستك وإدارتك.. كلّ من لك سلطان عليه ينبغى أن توصيه بالحق، فبالحقّ قامت السموات والأرض، والحقّ ما جاء به الإسلام، كلّ ما جاء به الإسلام من عقائد وعبادات وأعمال وأخلاق فهو حق. فأوصه بالحق، سواء كان يتعلّق بالدنيا أو بالدين، بأمر الله أو بأمر النّاس، ومن هنا كانت فريضة الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر، ومن هنا كانت فريضة الدعوة إلى الله، فكل مسلم داع إلى الله عزّ وجلّ.

كلّ مسلم يجب عليه أن يدعو إلى الله، يدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، فهو مخاطب بقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ [النّحل: ١٢٥]. كلّ من اتبع رسول الله ﷺ فهو داع: ﴿**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف: ١٠٨]، فإذا كنت ممّن اتبع رسول الله ﷺ فلابدّ أن تدعو إلى الله، وتدعو على بصيرة، على قدر ما آتاك الله، هناك من يدعو بتأليف كتاب، وهناك من يدعو بإلقاء محاضرة أو خطبة، وهناك من يدعو بإلقاء درس، وهناك من يدعو بالكلمة الطيبة، والكلمة الطيبة صدقة، وهناك من يدعو بالصحبة الصالحة.. بالأسوة الحسنة، وما أعظم الأسوة الحسنة فى التأثير.

بهذا أثرّ المسلمون قديماً فى العالم كلّه، بأخلاقهم نشروا الإسلام.

كلّ مسلم داعية إلى الله، من تعلّم شيئاً فعليه أن يعمل به وأن يعلّمه لغيره، وهذه هى الدعوة: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصّلت: ٣٣]. (الرّبانى) كما قال السلف هو: الذى يعلم ويعمل ويعلّم. لو تعلّمت مسألة علّمها لغيرك، عرفت شيئاً فى الإسلام انقله إلى غيرك.

المسلم لا يعيش فى هموم نفسه فقط، بل يهتمّ بالعالم من حوله، المسلمون كانوا فى مكّة قليلاً مستضعفين فى الأرض يخافون أن يتخطّفهم الناس، ومع هذا كانوا يهتمّون بالصراع الدائر من بعيد بين الفرس والروم، ومن ينتصر ومن ينهزم؟ ومن يكون انتصاره فى صالحهم أو يكون انهزامه فى صالحهم؟ إلى هذا الحدّ كانوا يهتمّون بالمعارك الدائرة فى العالم، ولم يكن هناك تلفاز ولا إذاعة ولا صحافة.

ولذلك لا يعقل أن يعيش المسلم فى عصرنا يهتم بأمره. بمكسبه. بجمع الألوف أو الملايين، ولا يهمّه ما يجرى لأخوته المسلمين وأخواته المسلمات هنا وهناك فى مشارق الأرض ومغاربها، ليس هذا من الإسلام فى شىء.

لا نستطيع إذن أن نعيش وإخوتنا وأخواتنا فى البوسنة والهرسك أو فى فلسطين أو فى لبنان أو فى جامو وكشمير أو فى بورما أو فى الفلبين أو فى الصومال أو فيما شئت من بلاد الله، فمآسىء المسلمين قد ملأت الصحف وملأت الإذاعات وأخذت مساحة وسيعة من كلّ نشرات الأخبار.

لا يمكن أن يكون هناك مسلم حقيقى لا يهتمّ لأمر أمتّه، لابدّ أن يتقطّع قلبه زفرات، وتذهب نفسه حسرات، كلّما سمع أو قرأ أو شاهد مآسى الأمّة الإسلامية.

التواصى بالحق: الاهتمام بأمر الآخرين، هذا هو شأن الإنسان المسلم.

لو أنّك تصلّى فى اليوم ألف ركعة، ولو أنّك تصوم صيام داود تصوم يوما وتفطر يوما، ولو أنّك تختم القرآن فى كل ثلاثة أيام، ولو أنّك تسبّح الله تسبيحاً كثيراً وتذكره بكرة وأصيلا، ولكنّك تعيش غير مهتّم بهموم الأمة وقضاياها، فلست من الإسلام فى شىء، لست المسلم الصحيح، لست المسلم الذى يشعر بالأخوة الإسلامية، لست المسلم الذى يعيش فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: ١٠]، لست المسلم الذى يفهم قوله عليه الصلاة والسلام:

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه»[1]، لست المسلم الذى يعى الحديث النبوى: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم، ويردّ عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على من سواهم»[2]، يجير أدناهم على أقصاهم، ويشدّ قويّهم على مُضعفهم، هذه هى الأمّة المترابطة التى وصفها الرسول ﷺ بأنّها كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمىّ والسهر.

التواصى بالصبر:

الشرط الرابع الذى أرشدتنا إليه هذه السورة – التى قال عنها الإمام الشافعى: لو عمل بها الناس لكفتهم! هذه السورة التى تكتب بأقلّ من سطرين فى المصحف الشريف لو عمل بها الناس لكفتهم، لأنها رسمت منهجاً كاملاً للإنسان – هو: التواصى بالصبر. وذلك أنّه لايوجد حقّ بغير صبر، إذا تواصى الناس بالحق فإنّ تكاليف الحقّ ثقيلة، وإنّ طعم الحقّ مرّ، وإنّ طريق الحق محفوفة بالأشواك بل مليئة بالأشواك، مضرّجة بالدماء.

انظر إلى طريق الحق منذ بعث الله الرسل مبشّرين ومنذرين، تجد الضحايا من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ولذلك لاحقّ بغير صبر.

ومن هنا أوصى الله رسوله بقوله: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ**﴾ [الروم: ٦٠] ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾ [النّحل: ١٢٧]. بضع عشرة آية تأمره بالصبر لأنّه لا يمكن أن تقوم دعوة للحق بغير صبر.

وقد أوصى لقمان ابنه وصيّته البليغة التى خلّدها القرآن، فكان ممّا أوصاه به: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان: ١٧]. لماذا قال له: «واصبر على ما أصابك»؟

---

(١) رواه البخارى عن ابن عمر واللفظ له، ورواه أبو داود عن سويد بن حنظلة (فيض القدير للمناوى: ٦/ ٢٧٠ – ٢٧١ برقم ٩٢٠٩).

(٢) أخرجه أبو داود والنّسائى، عن علىّ رضى الله عنه، قال فى (التنقيح): سنده صحيح، وحسّنه الحافظ فى (الفتح). انظر: (شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط: ١٠/ ١٧٢ برقم ٢٥٣١).

OBEIKAN.COM

لأنه ما دام سيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فلابد أن يوطّن نفسه على الأذى، سيناله الناس بأذاهم رضى أم سخط، لم ينج من هذا نبى مرسل، لم ينج منه أحد، فلابدّ أن يصبر على أذى الناس. ولهذا قال الله تعالى لرسوله ولأصحابه: ﴿ **لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وما دام الإنسان قد حقّق الشرط الأوّل وهو الإيمان، فإنّه لن يبالى بما أصابه فى جنب الله، سيستمرئ المرّ ويستعذب العذاب، ويهون عليه كلّ ما يلقى فى سبيل الله، فمن عرف مقدار ما يطلب هان عليه مقدار ما يبذل، إنّه يطلب الجنّة فلابدّ أن يبذل النفس والمال ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ** ﴾ [التوبة: ١١١].

الإيمان يهوّن عليه كل المتاعب، ويسهل عليه كلّ المصاعب، ويستصغر من أجله كلّ ما يلقى فى الله.

بعث عمر بن الخطّاب رضى الله عنه جيشاً إلى الروم وفيه أحد الصحابة: عبد الله بن حذافة السهمى، الذى بعثه النبى ﷺ قبل ذلك برسالته إلى كسرى، فأسر جمع من المسلمين وفيهم عبدالله بن حذافة، فقيل لملك الروم أو لأميرهم: إنّ فى هؤلاء أحد أصحاب محمّد، فقال لهم: أجيعوه – امنعوا عنه الطعام والشراب – فمنعوا عنه الطعام والشراب أيّاماً، ثمّ قال: اعرضوا عليه لحم الخنزير، فعرضوا عليه لحم الخنزير فأبى أن يأكل منه، فجىء به أمام الملك فقال له: مالك لا تأكل لحم الخنزير؟ أليس هذا حلالاً لكم فى مثل حالتك؟ فقال له: قد علمت والله إنّه حلال لى، وأنّ الله قد رخّص لى فى أكله، ولكن ما كنت لأقرّ عينيك بأكلى من هذا الخنزير! رفض أن يسرّه بالأكل وهى رخصة له ﴿ **فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** ﴾ [البقرة: ١٧٣].

ثم قال له: ما رأيك أن تدخل فى النّصرانيّة وأشركك فى ملكى وأمرى وسلطانى؟ فقال له: والله لو عرضت علىّ ما تملك وما ملك جميع العرب والعجم على أن أترك دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت ذلك. فقال: إذن أقتلك. قال: أنت وذاك.

فقال لهم: أصلبوه، فصلبوه، وقال لهم: ارموا قريباً من يديه ومن رجليه ولا تصيبوه. أراد أن يفزّعوه ويرعبوه. فرموه بالنبال من حوله قريبا من يديه ورجليه وهو ثابت كالطود الأشمّ لايتزلزل ولا يتزعزع.

ثم أنزله وقال له: ألا تدخل فى النصرانيّة؟ فأبى. فجيء بأسيرين من المسلمين أمامه، وقد أمر بماء وضع فى قدر، وأوقد تحته حتى غلى وأشتدّ غليانه، فجيء بأحد الأسيرين فألقى فى هذا القدر، حتى بدت عظامه. ثم قال له: أتريد أن تلقى مصير هذا؟ ادخل فى النصرانيّة، فأبى. فقال له: إذن ألقيك فى هذا القدر كما فعل بصاحبك، فذرفت عينه الدمع، فظنّ أنه قد جزع وضعف، قالوا: إنّه بكى، فقال الملك فى نفسه: هذه فرصة، فعرض عليه الدخول فى النصرانيّة فأبى، قال له: إذن لماذا بكيت؟ قال: بكيت لأنّك إذا وضعتنى فى هذا القدر هلكت وذهبت نفسى، وكنت أودّ والله لو أنّ لى تحت كل شعرة نفساً تلقى حتفها فى سبيل الله!

عجب الرجل من ثباته وصموده وصبره، فقال له: تُقبّل رأسى وأخلّى سبيلك وسبيل جميع أسرى المسلمين، فقال فى نفسه: عدوّ من أعداء الله يخلّى سبيلى وسبيل جميع أسرى المسلمين، ما علىّ إذا قبلّت رأسه، والله لا أبالى ذلك فى سبيل الله، فقام وقبل رأسه. فأطلق له جميع أسرى المسلمين.

وعاد إلى عمر رضى الله عنه، وقصّ عليه الخبر، وكأنه يعتذر من عمر أنّه قبلّ رأس هذا الرجل الطاغية من أجل الإفراج عن جميع أسرى المسلمين، فقال عمر بن الخطاب: حقّ على كلّ مَنْ هنا أن يقوم فيقبل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ، وقام وقبل رأسه، وقبلّ رأسه جميع المسلمين.

هذا هو الصبر، هذه هى النفوس التى ربّاها الإسلام، هذا هو الفرد الذى نريده إذا كنا نريد تغيير مجتمعاتنا من حال إلى حال أحسن.

اللهم اجعلنا من الذين يؤمنون فيعملون ويعملون فيتواصون بالحقّ ويتواصون بالصبر، اللهم آمين.

أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(٢٠) المستقبل للإسلام

● **الخطبة الأولى**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

مآسى تبعث على اليأس:

فى مجلس مع بعض الأصحاب والتلاميذ، قال بعضهم – وقد غشَت وجهه سحابه من الحزن والآسى، واخترقت قلبه سكيّن من اليأس والقنوط –: ألا ترى هذا الظلام المخيّم على المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها؟

ألا ترى هذه الهجمة الشرسة على الأمّة الإسلاميّة والصحوة الإسلاميّة؟ ألا ترى الإسلام فى إدبار والكفر فى إقبال؟ ألا ترى الصالحين يؤخرّون والطالحين يُقدمّون؟

ألا ترى إسرائيل تصول وتجول، وتعربد فى المنطقة وتتكلّم بصلف وغرور، كأنما الأمر كله أصبح لها، ولم يعد هناك شيء لغيرها؟ هكذا أعلن (رابين) فى مؤتمر الدار البيضاء: أنّ القدس هى العاصمة الأبدية لإسرائيل! وهكذا تحدّى الحاضرين جميعا، وهكذا أظهر طموحاته ومطامعه، ولا زال العرب يتساقطون واحداً بعد الآخر، والكلّ يعدّ العدّة لإنهاء المقاطعة من قريب.

ألا ترى ما يحدث لإخوتنا فى البوسنة والهرسك؟ ألا ترى هذا العالم الصامت عّما يجرى هناك، ولازال يمنعهم حقّهم المشروع فى الدفاع عن النّفس وأن يشتروا الأسلحة بأموالهم؟ ألا ترى الصرب المتوحشين يفعلون ما يفعلون وقد أوشكوا أن يستعيدوا ماربحه المسلمون فى تلك الجولات الأخيرة؟

ألا ترى ما يصنعه الهندوس فى كشمير؟ ألا ترى ما يصنعه النّصارى الكاثوليك فى الفلبين؟ ألا ترى ما يحدث فى الصومال؟ ألا ترى ما يحدث فى الجزائر؟ ألا ترى ما يحدث هنا وهناك من تحكّم الكفار فى المسلمين، والأشرار فى الأخيار، والفجاّر فى الأبرار؟

ألا ترى الفلسفة التى تنتشر فى أقطار كثيرة الآن: فلسفة تجفيف الينابيع..

ينابيع تعليم الدين! ينبغى أن تجفف هذه المنابع فى التربية والتعليم، وفى الثقافة والإعلام، حتى لا ينشأ مسلم غيور على دينه، حريص على أمّته، مدافع عن حرماته مجاهد فى سبيل الله.

ألا ترى علامات الساعة وقد كثرت وانتشرت الآن، فأصبح يُخوّن الأمين، ويؤتمن الخائن، ويُصدّق الكاذب ويُكذّب الصدوق؟ ألا ترى.. ألا ترى.. ألا ترى؟

هكذا قال صاحبى. قال صاحبى هذا كلّه يريد أن يدخل اليأس إلى قلبى والقنوط إلى نفسى. فهل هذا صحيح؟ هل صحيح أنّ الإسلام فى إدبار والكفر فى إقبال؟.

خلط فى فهم علامات الساعة:

إننا لو نظرنا إلى الأمور نظرة فيها إنصاف وفيها موضوعيّة، لرأينا الأمر غير ذلك. رأينا أنّ هناك بشائر كثيرة تنبئنا أنّ الغد لهذا الدين، وأنّ المستقبل لهذا الإسلام، وأنّ هذه الأمّة لن تموت، وأنّ فى هذا الدين روحاً بنّاءة تظهر وتستيقظ حينما تتعاظم الشدائد، فتحيط بهذه الأمّة. حينما يُهاجم الدين فى عُقر داره، هنالك ينتفض هذا الدين.. ينتفض هذا المارد. يستيقظ العملاق، ويخرج من قمقمه.

إذا كانت هناك أحاديث تدلّ على أنّ علامات الساعة قد ظهرت، وأنّ الناس قد ضيّعوا الدين، وأنّ هناك من يتبع سنن غير المسلمين شبراً بشبر وذراعاً بذراع[1] «.. حتى لو دخلوا جُحر ضبّ لدخلتموه..»[2] كما صح فى ذلك الحديث. إذا كان ذلك قد صحّ، فقد صحّت أشياء أخرى.

---

(١) إشارة إلى ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى مأخذ القرون، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ قال: ومن الناس إلاّ أولئك؟».

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم حذوا القذّة بالقذّة، حتى لو دخلوا جُحر ضبّ لدخلتموه. قال: يارسول الله، اليهود والنّصارى؟ قال: فمن؟» والقُذّة هى إحدى ريش السهم.

إن علامات الساعة الصغرى قد ظهرت بظهور بعثة محمّد ﷺ كما قال القرآن: ﴿ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨]، وقال عليه الصلاة والسلام: «بعثت أنا والساعة كهاتين»[١] وأشار بأصبعيه السّبّابة والوسطى[٢]. فهو نبيّ آخر الزمان، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١] ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ١].

ولكن إذا كانت الساعة قد ظهرت علاماتها، وإذا كانت الساعة قريبة كما قال القرآن: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٦٣] فالقرب والبعد أمر نسبى، والزمن الذى عاشته هذه الدنيا لا نعرف: كم هو؟ يقدّره الجيولوجيوّن والعلماء بملايين وعشرات الملايين من السنين. ولذلك فإنّ آلاف السنين ومئاتها لا تعتبر فى هذا الزمن العميق الغور.

إنّ علامات الساعة الصغرى قد ظهرت، ولكن أيضاً هناك بشائر تدلّنا على أنّ هذا الدين لابدّ أن ينتصر، لابدّ أن تكون له جولة، وتقوم له دولة، وترتفع أعلامه خفّاقة فوق العالمين.

- **مبشرات بانتصار الإسلام من القرآن:**

هذا ما نطق به القرآن، وما نطقت به صحاح الأحاديث.

القرآن الكريم يقول:

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى عن أنس، ورواه أحمد والبخارى ومسلم عن سهل بن سعد (فيض القدير للمناوى: ٣/٢٠٢ برقم ٣١٤٦).

(٢) قيل: هو تمثيل لاتصال زمنه بزمنها وأنّه ليس بينهما شيء كما أنّه ليس بينهما أصبع أخرى، ويحتمل أنّه تمثيل لقرب ما بينهما من المدّة كقرب السبابة والوسطى، أو عنى بما بينهما فى الطول أو العرض، وقيل إنّ دينه متصل بقيام الساعة لا يفصله عنه دين آخر كما لا فصل بين السبابة والوسطى، وقيل أنّ نسبة تقدم بعثته على قيام الساعة كنسبة فضل إحدى الأصبعين على الأخرى، وفيه إشهار بأنّه لانبى بينه وبينها كما لا يتخلّل أصبع بين هاتين الأصبعين، ومحصوله أنّه كناية عن قربها (فيض القدير للمناوى: ٣/٢٠٢ برقم ٣١٤٦).

١- ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: ٨]. هكذا قال فى سورة (الصف).

٢- وفى سورة التوبة: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢]. «يأبى الله»: هذا الإباء الإلهى هو الذى يطمئننا على مصير هذا الدين وعلى مستقبل هذا الدين. ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ ﴾: لابدّ أن يتمّ هذا النّور وينتشر فى الآفاق كلّ الآفاق.

٣- ويقول الله عزّ وجلّ فى آيات ثلاث فى سور ثلاث من كتابه: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣. الصف: ٩]، جاء ذلك فى سورة (التوبة) وجاء ذلك فى سورة (الصف)، وجاء ذلك فى سورة (الفتح): ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨].

لا تقولوا: إنّ هذا قد حدث فى القرون الأولى، فقد ظهر الإسلام على الأديان الكتابيّة: على اليهوديّة، وعلى النّصرانيّة، وعلى المجوسيّة التى قال فيها: «سنّوا بهم سنّة أهل الكتاب»[١]. ولكنّه لم يظهر على الأديان الوثنيّة المنتشرة فى آسيا وأفريقيا التى يبلغ أتباعها مئات الملايين وآلاف الملايين. والآيات هنا تقول: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ لا بد من ظهوره وغلبته وسيطرته على كل الأديان هذا وعد من الله، و ﴿ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ٩. الرعد: ٣١].

٤- ويقول الله سبحانه فى سورة (النّور): ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ

---

(١) أخرجه الشافعى من حديث عبد الرحمن بن عوف، وأخرجه الطبرانى عن مسلم بن علاء الحضرمى بلفظ: «سنوا بالمجوس سنّة أهل الكتاب». انظر: (سبل السلام للصنعانى، باب الجزية والهدنة، ٤/ ١٣٥ - ١٣٦).

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]. وهذا وعد دائم، بشرط أن يكونوا من:

أ- الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

ب- وأن يعبدوا الله لا يشركون به شيئا: أن يخلصوا التوحيد لله.. أن يحقّقوا التوحيد فى حياتهم، فلا يبغون غير الله ربّا، ولا يتخذون غير الله وليّا، ولا يبتغون غير الله حكما.

هذا ما جاء به القرآن الكريم، وعد من الله **﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾** [الحج: ٤٧]، بشرط أن نفى بالشرط حتى يحقق الله لنا المشروط: **﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾** [الحج: ٤٠ - ٤١].

مبشرات من السنة النبوية:

وهناك بشائر من السّنّة، من الأحاديث التى صحّت عن رسول الله ﷺ:

١- فقد روت عائشة أنّ النبى ﷺ قال: «لا يذهب الليل والنّهار حتى تُعبد اللاّت والعُزّى»، فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظنّ حين أنزل الله: **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾** [التوبة: ٣٣. الصف: ٩] أنّ ذلك تاماً [أى سيكون تامّاً وواقعاً فكيف يرجع الناس إلى عبادة اللاّت والعُزّى؟!] قال: إنّه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثمّ يبعث الله ريحاً طيبة فتوفىّ كلّ من فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم»[١] دين الشرك. فهذا سيكون

---

(١) رواه مسلم فى (كتاب الفتن وأشراط الساعة)، حديث (٧٢).

سيظهر الإسلام على الدين كله، الرسول يؤكدّ لعائشة أنّ ما فهمته من الآية صحيح وسيكون منه إن شاء الله ما يكون.

٢- ويقول النبى ﷺ فيما رواه ابن حبّان فى صحيحه: «ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنّهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر [بيت من حجر أو بيت من شعر، أى فى الحضر أو فى البادية] إلاّ أدخله الله هذا الدين، بعزّ عزيز أو بذلّ ذليل، عزّاً يعزّ الله به الإسلام وذُلاً يذلّ الله به الكفر»(١).

«ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنّهار»: أى سيشمل الكرة الأرضية كلّها، سيصل هذا الإسلام إلى تلك الديار، سينتشر الإسلام فى العالم كلّه، لأنّ العالم أحوج ما يكون إلى هذا الدين، إنّه يحتاج إليه حاجة الظمآن إلى الماء وحاجة العليل إلى الشفاء.

٣- ويقول ﷺ فيما رواه مسلم عن ثوبان: «إنّ الله زوى لى الأرض [أى جمعها وضمّها] فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنّ أمّتى سيبلغ ملكها ما زُوى لى منها..»(٢) أى سيبلغ المشارق والمغارب. فإذا كان الحديث الماضى يدلّ على انتشار الدين، فهذا الحديث يدلّ على اتساع الدولة.. دولة الإسلام وملك الإسلام. سيملك المسلمون المشارق والمغارب ويقيمون عدل الله فى الأرض، وينشرون التوحيدفى دنيا الناس.

٤- وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى قبيل قال: كنّا عند عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله أحد النّاس: أىّ المدينتين تفتح أوّلا: القسطنطينية أو روميّة؟ - روميّة هى كما يقول ياقوت فى معجمه (روما) عاصمة إيطاليا -

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (٤/١٠٣)، وأورده الهيثمى فى المجمع وقال: رواه أحمد والطبرانى، ورجال أحمد رجال الصحيح (٦/١٤).

(٢) رواه مسلم فى (كتاب الفتن وأشراط الساعة) برقم (٢٨٨٩)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذى (٢٢٠٣)، وابن ماجة (٣٩٥٢).

فأخرج عبد الله صندوقاً له حلق، وأخرج من الصندوق كتابا، قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب [كانوا يكتبون منذ عهد النبى ﷺ] وإذا رجل يسأله: يا رسول الله، أىّ المدينتين تفتح أوّلا: قسطنطينيةّ أو روميّة؟ فقال: «مدينة هرقل تفتح أوّلا»(١). ومدينة هرقل هى القسطنطينية التى كانت عاصمة الدولة الرومانيّة، وهرقل هو الامبراطور الذى كان معاصراً للنبى ﷺ.

وفعلا فتحت هذه المدينة (القسطنطينية) التى سميّت الآن (استانبول)، فتحها ذلك الشاب العثمانى الطموح المسلم الغيور: محمد بن مراد، الذى اشتهر فى التاريخ باسم (محمد الفاتح)، ابن الثالثة والعشرين، الذى قرأ فى كتب الحديث: «لتفتحنّ القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش»، فتاقت نفسه أن يكون هو ممّن صدق فيه هذا الحديث. وفعلاً رتبّ وخطّط لفتح القسطنطينية، حتى فتحها، وكتب الله له ذلك الفخر. ومن زار استانبول يجد جامع محمد الفاتح، وهذا الحديث مكتوب على بابه.

فتحت القسطنطينية، وبقى أن تفتح روميّة، ومعنى هذا أنّ الإسلام سيعود إلى أوروبا مرّة أخرى بعد أن طرد منها: طرد من الأندلس، وقد بقى فيها ثمانية قرون، أقام فيها حضارة عظيمة، جمعت بين العلم والإيمان.. بين الرقى المادى والسموّ الروحى والأخلاقى. وطرد مرّة أخرى من أوروبّا من البلقان، بعد أن وصل إلى أبواب (فيينّا) وطرق أبوابها عدّة مرّات.

سيعود الإسلام إلى أوروبّا، وأظنّ هذه المرّة أنّه سيفتحها عن طريق الدعوة.. عن طريق الفكر، فأوروبّا الآن أشدّ ما تكون عطشاً إلى دين يخرجها من قلقها..

---

(١) رواه أحمد فى مسنده برقم (٦٦٤٥)، وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح. وأورده الهيثمى فى المجمع (٦ / ٢١٩) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير أبى قبيل وهو ثقة. وذكره الألبانى فى سلسلته الصحيحة برقم (٤).

من حيرتها.. ممّا تعانيه نتيجة المادية والإباحيّة، ولن تجد هذا الدواء إلاّ فى الإسلام.

٥ – وممّا جاء عن رسول الله ﷺ ما رواه الإمام أحمد وغيره عن حذيفة قال: «تكون النبوّة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثمّ يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثمّ تكون خلافة على منهاج النبوّة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثمّ تكون ملكاً عاضّاً [ملكاً ظالما]، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثمّ يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جَبَريا [تجبّر وتحكّم فى خلق الله أشدّ من الملك العضوض]، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثمّ يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثمّ تكون خلافةٌ على منهاج النبوّة»(١) هكذا قال النبى ﷺ، بعد الملك العاض والملك المتجبرّ تكون خلافة على منهاج النبوّة، قال ذلك النبى ﷺ وسكت.

فنحن ننتظر هذه الخلافة على منهاج النبوّة.. على منهاج الراشدين. بعض الناس ظنّ أنّ هذا كان لعمر بن عبدالعزيز، ولكنّ عمر بن عبدالعزيز كان بعد مُلكٍ عاضّ ولم يكن بعد ملك الجبريّة هذا.. ملك التحكّم.. الحكم العسكرى والحكم المطلق والحكم الذى لا يبالى بحقوق الناس ولا بحرّياّتهم ويدوس كراماتهم.

فنحن ننتظر هذه الخلافة على منهاج النبوّة.

٦– وجاءت الأحاديث تدلّنا على أنّ لنا معركة مع يهود ينتصر فيها الإسلام، ويأخذ بحقّه منهم، كما جاء فى الصحيحين من حديث ابن عمر: «تقاتلكم اليهود، فتسلّطون عليهم، ثمّ يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودىّ ورائى، فاقتله»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٧٣)، وقال الهيثمى فى المجمع (٥/ ١٨٩): رواه أحمد، والبزار أتمّ منه، والطبرانى ببعضه فى الأوسط، ورجاله ثقات.

(٢) متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان: برقم ١٨٤٩).

وكذلك روى الشيخان من حديث أبى هريرة: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبىء اليهودىّ من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبدالله، هذا يهودىّ خلفى، فتعال فاقتله»[1]. سواء نطق الحجر من باب الكرامة وخوارق العادات، أو كان ذلك مجازاً وكناية عن أنّ كلّ شيىء يكون مع المسلمين ويدلّ على عورات عدوّهم. وإذا آتاك الله النّصر فكلّ شيىء يكون معك، وإذا خُذلت والعياذ بالله فكلّ شيىء يكون ضدّك، حتى السلاح الذى فى يدك، لا تنتفع به، كما رأينا ذلك فى سنة (١٩٦٧م).

٧- ومن البشائر: أن النبى ﷺ جاء عنه فى عدد من الأحاديث الصّحاح أنّ هناك طائفة منصورة فى هذه الأمّة، تقوم على الحق، وتجاهد فى سبيله، وتدافع عنه، حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون. صحّ ذلك عن عدد من الصحابة: «لاتزال طائفة من أمّتى قائمة بأمر الله، لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتى أمر الله، وهم ظاهرون على النّاس»[2].

وجاء فى حديث أبى أمامة: «لاتزال طائفة من أمّتى على الدين ظاهرين، لعدوّهم قاهرين، لا يضرّهم من خالفهم، إلاّ ما أصابهم من لأواء [أى من أذى] حتى يأتى أمر الله وهم كذلك» قيل: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس»[3] فى المنطقة التى يسمّونها (الشرق الأوسط) فى مصر والشام وفلسطين، هذه كلّها أكناف بين المقدس.

٨ - ويقول النبى ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه فى (كتاب الفتن وأشراط الساعة). وتتّمته: «إلاّ الغرقد فإنّه من شجر اليهود».

(٢) رواه أحمد والشيخان. انظر: (صحيح الجامع الصغير: ٧٢٩٠).

(٣) مسند أحمد (٥/٢٦٩)، وفيه قال عبد الله: وجدت بخطّ أبى.. الحديث. وأورده الهيثمى وعزاه إلى المسند والطبرانى، قال: ورجاله ثقات (٧/٢٨٨).

وانهاراً»[1] سيوسّع الله لهم في الرزق، وستعود أرض العرب مروجاً وأنهارا، يخرجون من التخلّف إلى التقدّم، ومن الفقر إلى الغنى، ومن العسر إلى اليسر، حتى جاء في بعض الأحاديث: «لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يُهمّ ربّ المال من يقبل منه صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي»[2] أغنى الله النّاس.

فهذه بشائر لابدّ أن نذكرها حتى لا نيأس فـ ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].. حتى لا نقنط فإنه لا ﴿يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

مبشرات من التاريخ:

وإذا نظرنا إلى التاريخ وجدنا بشارة أخرى: أنّ هذا الدين لا يمكن أن ينهزم، وأنّ هذه الأمّة لا تموت، قد تضعف، قد يصيبها المرض، ولكنها لا تموت. قد تكون الجولة لأعداء الله يوماً، ولكن سرعان ما يستعيد هذا الدين قوّته، سرعان ما ينفخ الروح في أبنائه نافخ، فإذا بهذه الأمّة تظهر على حقيقتها من جديد.

برز ذلك منذ العصر الأوّل، منذ مات النبي ﷺ وظهرت الرّدّة، وظهر المتنبؤن الكذّابون: مسيلمة وسجاح والأسود العنسي وطليحة الأسدي، ممّن تبعهم قومهم عصبيّة وقالوا: كذّاب ربيعة أحبّ إلينا من صادق مضر! وظهر الذين منعوا الزكاة وقالوا: نصلّي ولا نزكّي. وأبى أبو بكر هذا الرجل الرقيق البكّاء، إذا به يتحوّل إلى أسد هصور، ويقول: والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدّونه

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الزكاة) عن أبي هريرة، برقم (١٠١٢). وزاد أحمد في روايته «وحتى يسير الراكب بين العراق ومكّة لا يخاف إلاّ ضلال الطّريق». انظر: (المسند: ٢/ ٣٧٠، ٣٧١).

(٢) متفق عليه. انظر: (اللؤلؤ والمرجان) برقم (٥٩٤).

لرسول الله لقاتلتهم عليه. وكان عمر قد تردّد فى أوّل الأمر، ولكنّ أبا بكر ظلّ راسخاً كالجبل وأبى إلاّ أن يقاتل، فعرف عمر أنّ الله شرح صدر أبى بكر للحق فسار معه، وسار معه الصحابة، وقاتلوا المرتدين حتى أعادوهم إلى حظيرة الإسلام.

وكان هؤلاء المرتدوّن الذين عادوا من أشدّ النّاس نكاية فى الأعداء، وأكثرهم استبسالاً فى القتال فى فتح فارس والروم. كانوا يكفّرون عن خطاياهم.. عن خطيئة الرّدّة، فكانوا هم المقاديم دائماً فى ساحة الحرب.

هكذا انتصر الإسلام على الرّدّة. وانتصر الإسلام على مانعى الزكاة، وكانت الدولة الإسلامية أوّل دولة فى التاريخ تقاتل من أجل حقوق الفقراء، قبل أن يعرف النّاس ما سمىّ الاشتراكية أو الشيوعية أو غيرها.

فهذا التاريخ منذ عصر الصحابة يدّل على أنّ هذا الإسلام قوى، فيه قوّة ذاتيّة تظهر عند الشدائد، فإذا هو أصلب ما يكون عودا، وأصفى ما يكون جوهرا، وأشدّ ما يكون شكيمة، عندما تحيط به النّوائب، وتنزل به المصائب، وتتحلّق حوله الكروب، وتنزل بساحته الخطوب.

هكذا رأينا الإسلام مرّة أخرى حينما جاء الصليبيّون من الغرب، وجاء التتار من الشرق، جاء هؤلاء وجاء هؤلاء بقضّهم وقضيضهم.

جاء الصليبيّون من أوروبا فى تسع حملات، تريد أن تأخذ القدس والمسجد الأقصى. وفعلا، أخذوا القدس والمسجد الأقصى وظلّوا فيه تسعين سنة، وكانت لهم ممالك وإمارات فى فلسطين ظلّت مائتى سنة (قرنين من الزمان). حتى هيّأ الله رجالاً لهذا الدين مثل: عماد الدين زنكى، وابنه الشهيد نور الدين محمود، وتلميذه صلاح الدين الأيّوبى، والظاهر بيبرس، وغير هؤلاء، فاستطاعوا أن يردّوا الصليبيين ويدحروهم فى معركة حطّين ومعركة فتح بيت المقدس، وعاد هؤلاء إلى ديارهم خائبين، واستردّ الإسلام ملكه وقوّته.

وكذلك التتار، انتصروا على المسلمين، وحطّموا الدولة الإسلامية فى بغداد عاصمة الخلافة العباسية، دمروا معالم الحضارة والثقافة، ألقوا كتب العلم فى دجلة حتى اسودّ ماء دجلة، ذبحوا الناس حتى سالت الدماء من الميازيب، وكان المثل السائر عند الناس: إذا قيل لك: إن التتار قد انهزموا فلا تصدّق! أى: شاعت أسطورة القوّة التى لا تقهر.

وبعد أن فتحوا بغداد سنة (٦٥٦هـ) أرادوا أن يفتحوا مصر سنة (٦٥٨هـ)، وأرسل قائدهم إلى القائد المملوكى فى مصر الرجل الصالح المظفّر سيف الدين قطز، بعث إليه برسالة تبرق وترعد، وترغى وتزبد، يقول فيها: نحن الذين قتلنا العباد وخرّبنا البلاد، وسفكنا الدماء، ولا يقوم أحد فى وجهنا ونحن فعلنا وفعلنا. فلمّا جاء رسولهم إلى قطز أخذ الرسالة وبعد أن قرأها على الناس مزّقها، وجاء بالرسولين فقتلهما مع أنّ الإسلام لا يجيز قتل الرسل، ولكنّه أراد فى هذه الحالة أن يبلغ هؤلاء أنّه لا يبالى بهم، وأن يقوّى قلوب المسلمين من حوله لقتال هؤلاء.

وفعلاً نهض لقتالهم، ولقيهم فى الخامس والعشرين من رمضان سنة (٦٥٨هـ) بعد سنتين من هزيمة المسلمين فى بغداد، لقيهم هناك فى قرية عين جالوت فى فلسطين، وكانت المعركة الحاسمة (معركة عين جالوت). فى أوّل الأمر هُزم المسلمون، فألقى قطز خوذته على الأرض، وصاح صيحته التاريخيّة المعروفة: وا إسلاماه.. وا إسلاماه.. وا إسلاماه، فما كاد الناس يسمعون هذه الصيحة حتى أقبل المدبر، وثبت المتردّد، وتشجع الجبان، وكانت الجولة للمسلمين وانتصروا فى هذه المعركة، ولم تقم قائمة للتتار بعد ذلك.

ثمّ شرح الله صدورهم ودخلوا فى الإسلام. انتصر الإسلام عليهم عسكريّاً، وانتصر عليهم معنويًا.

هذا ما يقوله التاريخ: الإسلام أقوى ما يكون فى ساعات الشدّة.

مبشرات من الواقع المعيش:

أما ما يقوله الواقع: فنحن نعلم أنّ هناك صحوة إسلاميّة شرّقت وغرّبت، وذهبت شمالاً وجنوباً، فى بلاد العرب، وفى عالم الإسلام، وخارج عالم الإسلام.

هذا الشباب المؤمن الذى هو قرّة عين هذه الأمة، الشباب الصوّام القوّام، الذى يذكر الله قياماً وقعودا وعلى جنوبهم، الشباب الذين نذروا أنفسهم لهذا الدين، وباعوا أرواحهم لله.

هذه الصحوة نراها فى كلّ مكان، رأيتها والله حيثما يمّمت، وحيثما ذهبت فى مشرق أو مغرب، رأيت هؤلاء الشباب المستغفرين بالأسحار، القارئين للقرآن، القارئين لكتب الحديث، المجتمعين على طاعة الله.

رأيت أولئك الشّابات الملتزمات بالحجاب، الممتنعات عن العبث، اللاّئى اخترن الإسلام طوعا وسرن فى طريق الله.

هذه الصحوة الإسلامية التى نرى آثارها فى المساجد يعمرها المصلّون. كنّا نرى قديما عمّار المساجد من الشيوخ الكبار الذين أكل الدهر عليهم وشرب! بعد أن يبلغ الإنسان سن المعاش يذهب إلى المسجد، وقلّما كنّا نرى فى المساجد شابّا.

انظروا: الذين أراهم الآن أمامى فى هذا الوقت، والذين أراهم خلفى فى صلاة التراويح، هم الشباب! الذين يملأون مواسم الحج والعمرة، غالبيتهم العظمى من الشباب!

من الذى صنع هذا؟! الذى صنع هذا هو الإسلام، الإسلام ردهم إليه ردّا جميلا.

هذا الدين قوى لا يضعف، هذا الدين مكين لا يتزلزل. هذا الدين راسخ لا يتزعزع.

فى كلّ بلاد الإسلام صحوة والحمد لله، حتى البلاد التى فُرضت عليها العلمانيّة بالحديد والنار - كما فى تركيا - نرى المدارس القرآنيّة بالآلاف وعشرات الآلاف! يُحفّظ الأطفال - ذكورا وإناثاً - القرآن الكريم. نرى هذه العودة التى تملأ المساجد برغم أنّ الدستور لايزال علمانيًا.

الإسلام قوى، والصحوة الإسلامية موجودة فى كلّ مكان، ينبغى أن لا ننكر هذا.

رأينا هذه الصحوة فى المجال الثقافى: انتشار الكتاب الإسلامى، وحرص الناس على اقتناء الكتب الإسلاميّة، وظهور مكتبة إسلاميّة ضخمة فى كل ناحية من نواحى الثقافة الإسلاميّة.

فى المجال الاقتصادى: رأينا البنوك الإسلاميّة، والمؤسّسات التجاريّة الإسلاميّة، وقد كانوا قديماً يقولون: لا تحلموا ببنوك بغير فوائد، إنّ الاقتصاد عصب الحياة، والبنوك عصب الاقتصاد، والفوائد الربويّة عصب البنوك. ولكنّ الله خيبّ ظنونهم، وظهرت بنوك إسلامية وانتشرت والحمد لله.

فى المجال العسكرى: ظهر الجهاد الإسلامى فى أماكن كثيرة: ظهر فى أفغانستان ودحر الروس، ونسأل الله أن يجمع كلمة إخواننا ولا يُخزونا أمام الآخرين، وأن يصلح ذات بينهم. ظهر فى فلسطين فى حركة المقاومة الإسلامية.. فى الجهاد الإسلامى، الذى أخزى اليهود وأرعب اليهود. ماذا يفعل اليهود أمام إنسان باع روحه، ووضع رأسه فى كفّه، ولا يبالى ما يصيبه فى سبيل الله؟ هذا الشاب الذى فعل ما فعل فى تل أبيب، أو فعل ما فعل فى غزّة، هذا باع نفسه لله. مهما أوتيت إسرائيل من الأسلحة الكيماويّة

والجرثوميّة والنّوويّة لا تستطيع أن تفعل أمام هؤلاء النّاس المستشهدين فى سبيل الله شيئاً.

الجهاد فى سبيل الله فى كشمير.. فى الفلبين.. فى السودان، هذا كلّه من عمل الصحوة الإسلاميّة.

إخواننا فى البوسنة والهرسك رغم الحصار المفروض عليهم، صمدوا وصبروا وصابروا ورابطوا، وقاوموا الصرب ومن وراء الصرب، فالصرب ليسوا وحدهم، وراءهم الكاثوليك من الفرنسيّين، وراءهم البروتستانت من الانجليز، وراءهم الأرثوذكس من الروس واليونان، وراءهم هؤلاء جميعا. ولكنّ إخوتنا صمدوا، واستطاعوا أن يحافظوا على أنفسهم.

كان المفروض أن تسقط (سراييفو) بعد أسبوعين أو ثلاثة، وكانت الاحتفالات معدّة لهذا، ولكنّ الله خيبّ ظنونهم، وضيّع أحلامهم، ولازال إخواننا صامدين.

هذه كلّها تدلّ على قوّة هذا الدين، هذا الدين قوى، ولا يمكن أن يسقط أيّها الإخوة.

ثمّ هناك شيىء آخر: العالم كلّه فى حاجة إلى هذا الدين.

نحن المسلمين أحوج ما نكون إلى شريعة الله.. إلى منهج الله نحكّمه فى حياتنا، حتى نطعم من جوع، ونأمن من خوف، ونقوى من ضعف، ونعزّ من ذلّ، ونسعد من شقاء، ونستقرّ من اضطراب، ونتماسك من تفسّخ.

المسلمون فى حاجة إلى الإسلام، وغير المسلمين فى حاجة إلى الإسلام. الحضارة الغربيّة التى استطاعت أن تصل إلى القمر، لم تستطع أن تسعد الإنسان على سطح الأرض! ما قيمة أن تصل إلى القمر والنّاس فى هذه الأرض أشقياء تعساء؟! ماذا يصنع الإنسان بحضارة الأزرار الأتوماتيكيّة والعقول الإلكترونيّة، وهو غير سعيد النّفس، ولا مطمئنّ القلب، ولا مستقرّ الحياة؟! هذا

ما يشكو منه النّاس. يشكون جوعاً فى أرواحهم.. ظمأ فى نفوسهم.. فراغاً فى قلوبهم، لم يجدوا العقيدة التى تملأ هذا الفراغ وتجيب عن الأسئلة الحائرة التى يسألونها: من أنا؟ ولم خُلقت؟ وإلى أين أذهب؟ ولماذا أحيا؟ ولماذا أموت؟

الإسلام هو الذى يملك الإجابات الشافية عن هذا كلّه. الذى يستطيع أن ينقذ الغرب ممّا هو فيه هو: الإسلام. الإسلام وحده هو المنقذ.

والدور لنا وليس الدور علينا. كان العالم فى وقت ما قيادته شرقيّة، أيّام الحضارات القديمة: الفرعونيّة والبابليّة والكلدانيّة وغيرها. ثمّ انتقلت دورة الحضارة وشعلة الحضارة إلى الغرب، فأصبحت القيادة للغرب أيّام فلسفة اليونان وحضارة الرومان. ثمّ انتقلت الشعلة مرة أخرى إلى الشرق أيّام انبعاث الإسلام وحضارة الإسلام وازدهار أمّة الإسلام، وظلّت الأمّة الإسلاميّة هى الأمّة الأولى فى العالم قروناً عديدة، كانت أستاذة العالم وسيّدة العالم. ثمّ انتقلت الشعلة إلى الغرب على يد النّهضة الحديثة والحضارة الحديثة.

ولكنّ الغرب لم يرع الأمانة، أفلس فى القيادة. استطاع الإنسان أن يحلّق فى الهواء كالطير، وأن يغوص فى البحر كالحوت، ولكنّه لم يحسن أن يمشى على الأرض كإنسان.

العالم فى حاجة إلى حضارة جديدة وإلى رسالة جديدة، وهذه الحضارة لن تكون إلاّ حضارة الإسلام، وهذه الرسالة لن تكون إلاّ رسالة الإسلام.

الغد لنا، والمستقبل لنا، فلا ينبغى - أيها الإخوة - أن نيأس أبدا، ولا ينبغى أن نقنط أبدا.[1]

---

(١) لمزيد من التفصيل فى هذه المبشرات التى تبشر بانتصار الإسلام، يراجع الرسالة القيمة للشيخ القرضاوى (المبشرات بانتصار الإسلام) وهى إحدى رسائل ترشيد الصحوة - للشيخ طبعة مكتبة وهبة.

سنظلّ نعمل ونعمل، ونستمرّ فى العمل والدعوة والجهاد، سندعو إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، سنجادل بالتى هى أحسن، سنعرض بضاعتنا، وبضاعتنا هى هذا الدين، والعالم كلّه محتاج إلى هذه البضاعة. محتاج إلى هذه الرسالة ﴿ **وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾

[التوبة : ٣٢]

أقول قولى هذا، واستغفر الله لى ولكم، وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه، فادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية :

رثاء الشيخ خليل الحامدى :

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

قبل الصلاة بقليل تلقّيت رسالة بالفاكس من لاهور فى باكستان، تبلغنى بوفاة عالم جليل، وداعية من الدعاة الصادقين، هو : الشيخ خليل بن أحمد الحامدى، فى حادث مرورى أليم.

وكان هذا الرجل من الذين نذروا أنفسهم للإسلام، وعاشوا للدعوة إلى الله، وشرّق فى البلاد وغرّب. كان مديراً لدار العروبة والدعوة الإسلاميّة فى لاهور بباكستان. ونشر كثيراً من الكتب الإسلاميّة وترجمها إلى العربيّة، خصوصاً كتب الأستاذ أبى الأعلى المودودى.

فنسأل الله تبارك وتعالى أن يغفر له ويرحمه، وأن يتقبله فى الصالحين والشهداء، وأن يجزيه عن الإسلام والدعوة خير الجزاء، وأن يعوّض المسلمين فيه خيرا.

OBEIKAN.COM

اللهم اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعف عنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

﴿ **ربَّنا اغْفرْ لَنَا ذُنُوبَنا وإسْرافَنا في أمْرنا وثبِّتْ أَقْدامَنا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوم الْكَافرين** ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿ **رَبَّنا اغْفر لَنا ولإخْواننا الَّذين سبقُونا بالإيمَان ولَا تجْعَلْ في قُلُوبنَا غلاًّ للَّذين آمنُوا ربَّنا إنَّك رءُوفٌ رَحيمٌ** ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله: ﴿ **إنَّ اللَّه وملائكتَهُ يُصلُّون على النَّبيِّ يا أَيُّهَا الَّذين آمنُوا صلُّوا عليه وسَلِّمُوا تَسْليما** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأقم الصلاة.

* * *